ذاكرة هشة

ذاكـرة هـشة

مجموعة قصصية

فتحية فؤاد أبو خديجة

الإهداء

إلى ذلك القلب الذي سكنتُ في جوفه وقتًا طويلًا ومازلت أقطنُ بين نبضاته، إلى تلك الروح التي تبتهج بقربي وإلى ذلك الوجه الجميل الذي أتعبته الحياة وهو يحاول إسعادي .

إلى من زرع العزيمة بداخلي وجعلني أرى نفسي في مكانٍ لطالما حلمت أن أكون به . إلى من وقف بجانبي مرارًا .

إلى قلبي الموجود خارج جسدي، إلى عيني التي لا أبصر الدنيا جميلةً إلى بها . أهديك كتابي القاصر عن شكرك على الحياة الجديدة التي أهديتني إياها .

المقدمة

قد تكون البدايات عادة مملة وتفسد على القارئ متعة إكتشاف الكتاب و كوني قد مررت بذلك أيضًا ؛ فلن أتمكن من إفساد متعة إكتشافك للكتاب بمقدمة روتينية رتيبة .

أطلق العنان إلى روحك الببلومانية وابدأ رحلتك الشيقة بين طيات الكتاب .

ذاكرة هشة

اذكر ذلك اليوم بكل تفاصيله ،اذكر نَظراتهم الغريبة التي كانوا يتبادلونها. اكتشفت حينها أنهم ينتظرون عودتي فقد أحضروا لي هدية جديدة، كهداياهم السابقة... ليست كتاب جديد ولا مسجلة صغيرة ولا حتى زهور الأقحوان المفضلة لدي. لقد كانت هدية مزعجة كسابقاتها، أنه شابٌ أخر تقدم لخطبتي .
يعمل في شركة كبيرة وهو بثلاثين من عمره كامل الأوصاف، كما يقولون فارس الأحلام...تُرَّهات.

لم أكن أحلم أو أفكر في الزواج ،ليس لأن حياتي مثالية فَحياتي عبارة عن فلم قديم بالأبيض والأسود

روتينية لاشيء جديدٌ فيها؛ لكنني حَلمت وتوقعت ولم أحصد سوى قليلَ القليلْ.

وهذه المرة لا تختلف كثيرا عن غيرها سوف نتقابل وأقدم القهوة وأتظاهر بالفرح و جلسة مليئة بالابتسامات المزيفة والمجاملات التافهة، ثم يغادرون ويعود كل منا لحياتهِ الطبيعية، هذا ما كنت اعتقده.

مازال صوتها يرنُ في أذني إلى الآن.

– هل حققتِ شيئاً من أحلامك التافهة؟؟؟

كلامها كان كسكاكين تُغرس في صدري. ساد الصمتُ القاتل المكان ،لم أستطع الإجابة، أصبح حجمي كذرة غبار عالقة على قطعة ملابس قديمة كأنني لاشيء. هي ليست قاسية إلى هذا الحد، والدتي كانت طيبة وحنونة لكن حين أتحدث عن

احلامي تصبح سيفاً ماضياً مستعداً لتقطيعها إلى أشلاء؛ فهي ترعرعت في مجتمع ينبذ الفتيات، لايحق لنا أن نحلم خلقنا فقط لِننجب الأطفال ونربيهم ونقوم بأعمال المنزل ونتحمل ذلك الجنس البغيض.

أما أنا فلم تكن أحلامي أن أنجب ثمانية أطفال ولاطموحي أن أصبح من النسوة وأعني بذلك النسوة اللواتي يجلسن مع رفيقاتهن،لا ليس رفقة بل يدعينَّ ذلك فهن في هذه الجلسة يتحدثن عن أُم فلان وفي جلسةٍ أخرى تشارك أُم فلان في حديث سوء عن رفيقة مزيفة أخرى.

يولد لدي يقين بأن أحلامي ستتحقق في كل مرةٍ أنظر فيها لمكتبي الخشبي الصغير وتلك الكتب المترتبة

عليه التي لملمتها من الزمان. وزهور الأقحوان وأقلامي المبعثرة كم أحبها وتلك الأوراق التي علقتها على الجدار كنت أدعي أنها ستصبح حقيقة .

لكني خاطبت ذاتي قائلة: لا تحزن خلقت الاحلام؛ كي لا تتحقق وتبقى ذكرى يدوس عليها مجتمعنا القاسي.

لم تقتنع والدتي بالحجج التي قدمتها، انتهى الأمر وأحلامي أصبحت على الهاوية. المحكمة أصدرت الحكم بشأن أحلامي غداً ستعدم على مشنقة تُدعى الزواج .سأقبل بذلك الحكم وقلبي تملاءهُ حسرةٌ لاذعةٌ.

إضاءةٌ خافتة،ستائرٌ مغلقةٌ أشعة الشمس لم تداعب يوماً جدران ذلك المنزل الكئيب، لا ليس منزلاً كان

أشبه بسجنٍ قبيح. طلاءُ تلك الجدران يوحي بالوحشة...بالضياع. لونه خالي من البهجة والسرور. يقال أنهُ ملك الألوان لكنهُ بهذا المنزل تحول إلى أقبح لون.

كيف سأعيش في هذا المنزل؟؟ لا لن أستطيع العيش فيه ومع ذلك الرجل البارد...من غير الممكن أن أتحمل العيش هنا،سأجن حقاً.

باتت الأفكار تجيء ذهاباً وإياباً في مخيلتي أفكارٌ بائسة أنني سأصبح مثلهُ،شخصاً بارداً روحهُ خالية من الحياة، كأنه آلةٌ تقوم بعملها وحسب أعيش معه وأراه كل يوم، كيف لي أن لا أصبح مثلهُ؟؟

أشعر أنني عالقة بين السماء والأرض، تارةً أفكر بالقيام بعمل جنوني قد يُريحني من هذا السجن وتارةً أخرى يخيل لي أن الحياة ستصبح أفضل وقد يتغير ذلك الإنسان البارد ويصبح شخصاً مفعماً بالحياة. ويتحول هذا المنزل من جحيم إلى جنة ،ربما قد يكون ذلك ممكناً لست أدري.

صراعٌ مبهمٌ يحدث بيني وبين النوم .حين أضع رأسي على تلك الوسادة الغير وثيرة يتبخر النوم من عيناي كالماء ويبقى عقلي يغوص في بحر الأفكار،وتستمر هذه الحالة حتى بزوغ الشمس.

لم أكن أستطيع النوم إلا حين يغلبني النعاس بالكامل وما كان يغلبني إلا قليلَ.

كنتُ جالسة في غرفة الجلوس أحاول إيجاد شيء يمزق الملل الذي يتخلل بداخلي. شعرت بضيقة كدت اعتقد أن الجدران تزحف نحوي. كآبةٌ ووحشة تتعفرت في أقطار ذلك المنزل، حاولتُ إيجاد كتاب أو رواية قد تزيح الملل عني وتُعيدُني لسابق عهدي ،بحثت في مكتبهِ ولم أجد سوى أوراقاً لعمله السخيف. يبدو أنني سأستسلم لواقعي المُر وأقتنع بالعيش معه في هذا السجن للأبد.

صوتٌ مزعجٌ يدق على مسمعي، رفعت رأسي عن الوسادة ونظرت لذلك الجهاز المزعج.

يكاد رأسي ينفجر، متى سأستيقظ على أنغام الطيور المرفرفة بالقرب من النافذة ؟؟؟

لم أعد أحتمل هذه الحياة وذلك الإنسان.

سأُجنُ حقاً من بروده وعدم مبالاته وحياته البائسة.

أشحت بنظري إليه وطلبت منهُ أن يوقف ذلك الصوت المزعج، نظر إلي ببرود وهو يضع ساعته الثمينة ثم قال: إن كنتِ منزعجة لهذا الحد أذهبِ وأوقفه بنفسك؟؟ فأنا لدي عملٌ ولقد تأخرت. وبالفعل ذهب وترك ذلك الصوت ينخر في رأسي، تبعته إلى الباب مندفعة أرغب بالصراخ في وجهه، لكنني تراجعت عن ما كنت أريد فعله عندما رأيته يذهب نحو الباب الخلفي. ياترى ما الأمر المهم الذي يدفعه للذهاب هناك. شعرت بحيرة بالغة؛ فهو يهتم لِعمله ومواعيدهِ أكثر من أي شيء آخر. لم أستطع تمالك نفسي علي قتل تلك الحيرة بداخلي لذلك تبعته ووقفت أراقبه، حينها كانت الصاعقة.

فناءٌ خلفي، زهورٌ جميلةٌ لا أصدق!!!

هذا الإنسان البارد القاسي الذي يعتني بتلك الزهور الجميلة الرقيقة ؟! لا هذا غير ممكن !

وضعت يداي على رأسي ورفعت خصلات شعري الكستنائية وعلامات الحيرة تملأ وجهي. تابعت النظر إليه، كيف يقوم بسقاية تلك النباتات ورعايتها بكل رقةٍ واهتمام، عُدتُ إلى غرفة النوم و أفكاري مشتتة. سكنت للحظات وفي نهاية ادركت أن هذا الإنسان من الممكن أن يتغير للأفضل ويصبح انسان لطيف و مرح محب للحياة؛ لأن قلبه نقي وطيب لكنهُ لا يظهر ذلك.

لم أُحلل تلك الأفكار من تلقاء نفسي فتلك الزهور اعَادت الأمل لدي.

فتحت عيناي لأرى النور، لكنني لم أرى سوى الظلام لأن ستائر مغلقة، كانت الساعة على ما أعتقد ما يقارب الثامنة ونصف صباحاً لم انظر للساعة ؛ فزقزقة الطيور كفيلة بأن تعلمني بالوقت.

نهضت لفتح الستائر لتدخل أشعة الشمس وتداعب قطع الأثاث المُغبَرةَ في الغرفة.
نظرتُ إلى الجانب الأخر من السرير لأجدهُ مازال نائماً، هنالك شيءٌ مريبٌ من غير الممكن أن ينام لهذا الوقت وقد يتأخر على عمله. اقتربت من ناحيتهِ كي أُقيظه.

أمسكت يده و هززتها؛ لكي يستيقظ. لكن يدهُ كانت باردة للغاية هذا غير اعتيادي.

لمستُ جبينه، وكأنني لمست قاع قدر وضع على النار لساعات، يا إلهي أنه مريض!!!

يجب علي مهاتفة الطبيب. هرعت إلى الهاتف في غرفة الجلوس وتناولت دفتر العناوين من الدرج وبحثت عن رقم الطبيب وقمت بمحادثته، اخبرني أنه بعد دقائق سيجيءُ للمنزل.

لم أستطع إزاحة عيناي عنهُ كأنه طفلٌ صغير. جسدهُ يرتعش وأطرافهُ باردة.

لقد تأخر الطبيب، سرتُ في أقطار المنزل انتظر أن يقرع جرس الباب، وماهي لحظات حتى قرع الجرس. اقترب الطبيب منهُ وفتح حقيبتهُ السوداء واخرج أدواته وبدأ بفحصهِ. وعندما انتهى اخبرني بأنه مصاب بانفلونزا وسيشفى قريباً بعد أن يتناول هذه الأدوية.

شكرتهُ وودعتهُ واغلقت الباب ثم ذهبت للمطبخ ووضعت في وعاء ماءً دافئً واخذت قطعة قماش و بللتها واتجهت نحو الحجرة واقتربت منه لأضعها على جبينه لكنه امسك يدي وأمرني أن ابتعد عنه مُدعياً أنه غني عني وليس بحاجتي كان عنيداً لكنه لم يكن يعلم بأنني عنيدةٌ أكثر منه. لم استمع لكلامه وقمت مراراً بغسل قطعة القماش واقترب منه حتى اضعها على جبينه.

نظر إلي وشرار يفيض من عينيه السوداء لامعة ثم ردد قائلاً: قلتُ لكِ ابتعدي عني.

نظرتُ إليه نظرة جانبية واكملت غسل قطعة القماش، صرخ مجدداً: هل أنتِ صماء؟؟ قلت لكِ اخرجِي و اتركيني وشأني.

لم أستطع التزام الصمت فصرخت قائلة: طفح الكيل منك. هل أنت مضطرب عقلياً؟؟انا زوجتك ومن واجبي الاعتناء بك ولستُ أُشفق عليك كما تدعي. إذا كنت تكرهني لهذا الحد لماذا تزوجتني؟؟

لم يجبرك أحد على الزواج بي. والآن ضع كبريائك جانباً ودعني أكمل عملي.

عجت ملامح وجههِ بالخسران وأنزل يده وجعلني أكمل ما كنت أقوم بهِ.

بعد ساعة حضرتُ لهُ الطعام واطعمته بيدي، لم يمانع هذه المرة فهو يعرف ردي إن حاول إظهار كبريائه مجدداً وما إن انتهى من تناول الطعام. أحضرت لهُ

الدواء ثم طلب مني الخروج من الحجرة فهو يريد النوم بهدوء.

هززت رأسي موافقة على ما طلبه واخذت الطعام معي وخرجت.

لازلت اذكر نظراته منذ ذلك اليوم وكيف اصبح مختلفاً كلياً. حتى نظرتي لهُ قد اختلفت. أيعقل أنني وقعت بالحب؟؟

هذا هراء فأنا لا أؤمن بذلك، الحب فقط موجود بالقصص والروايات التي أقرأها.

بعد شهرٍ تقريباً...

– جمانة...

هذه المرة الأولى التي ينادي فيها باسمي، نظرت إليه وعيناي تلمعان متسائلة: هل ناديتني؟؟

أجاب : نعم، أريد أن أخبرك بأننا سوف نتناول العشاء اليوم في الخارج مع أحد زملائي في العمل وسَيحضر زوجته، هل يمكنك القدوم برفقتي؟؟

قلت له وعلى وجهي ابتسامة: حسناً سأكون جاهزة.

ابتسم وأخذ ملفات لعمله ومفاتيح سيارته وذهب.

كنت انتظر أن يقف عقرب الساعة على تاسعة مساءً، تحمست كثيراً ؛ فهذه أول مرة نخرج فيها سوياً دوناً عن زياراتي لعائلتي وبيت عمه الذي رباه.

قرع الجرس، ذهبت وفتحت الباب. رحبتُ به، ثم قال: ألم تجهزِ بعد؟؟

أجبتهُ : لا، كنت انتظر عودتك.

قال: ها قد عُدت هيا اذهبِي لتجهيز نفسك.

أومأت برأسي موافقةً على كلامه. ذهبت لغرفتي و بدلت ملابسي ثم جلست أمام المرآة فوجدته ينظر إلي نظرات غريبة كأنه أعجب بي.

يبدو أنه اكتشفني لتو، قلت ذلك في نفسي وابتسمت.

وعندما سألته عن تلك النظرات، تلون وجهه قليلاً و حكَ مؤخرة رأسه وقال: الساعة الثامنة والنصف. بقي نصف ساعة سنتأخر ، انهى تلك الجملة المتقطعة وخرج.

قلت: حسناً وتبعته وعلى وجهي ابتسامة طفيفة.

وصلنا للمطعم وجلسنا على الطاولة في الطابق العلوي بالقرب من نافذة تُطل على أنوار المدينة.
كان ينظر لي وكأنه يخبئ بحنجرته كلام ويريد إخراجه لكنه عاجز .
قلت له: هل هنالك خطبٌ ما؟؟
قال بتردد: لا.

بعد دقائق وصل زميله وزوجته. وقفنا مرحبين بهم. بدأ الحديث عن العمل في ما بينهما، أما أنا وزوجة زميله لم نتفق ابداً ؛ فهي تعشق التبرجَ والمظاهر .
كانت كل عدة دقائق تخرج أحمر الشفاه خاصتها وتلك المرأة الصغيرة من حقيبتها وتقوم بتحسين

تبرجها من ثم تمسك هاتفها وتقوم بمراسلة صديقاتها.

شعرت بالضجر لم يكن لدي خيار سوى النظر للأنوار الجميلة. تُذكرني بروايةٍ قرأتها قبل مدة.

لم اشعر بالوقت كيف سار سريعاً ؛ فلقد اندمجت بالنظر لتلك الأنوار المبهرة وسرحت بخيالي حتى ايقظني صوتهُ من أحلام اليقظة قائلاً : لقد رحلوا هيا لنعد للمنزل.

اخبرته بأنني ارغب بالمكوث بضع دقائق أخرى هنا؛ فمشهدُ تلك الأنوار جميل،

حدثني موافقاً لما قلته: أنتِ محقة المشهد جميل للغاية لكنه ليس بجمالك.

إلتفت إليه و وجنتاي ملونتان بلون الفراولة.

نظر إلي فقال وهو يبتسم: وعندَما تخجلين تصبحين اجل بكثير.

كنت ارغب بصفع نفسي كي أتأكد أن ما سمعته ليس حلماً وإنما حقيقة .

لم أتمكن من الرد على كلامه، فقط كل ما تمكنت من النطق به: اشكرك.

قال: أنا من علي شكرك فقد غيرتي حياتي....أحبكِ جمانة...أحبكِ.

مشاعرٌ مبهمة تتخلل بداخلي، ماهذا الهراء أنني ابتسم!!!

امتلأ وجهي بِعلامات الذهول والحيرة.

لم اشعر بنفسي إلا وأنا أبادله نفس المشاعر فقلت: وأنا أحبك أيضا.

ارتسمت على وجهه ابتسامة جذابة وقال: أعدكِ بأن حياتك سوف تصبح أفضل.

ثم عدنا للمنزل و شعاع من الأمل ينير دربنا.

كنت جالسة في غرفة الجلوس أراقب الساعة. أتمنى أن يلتقي عقربها على رقم ستة؛ كي يدق جرس الباب ويعود من العمل.

أصبحت ساعات غيابه عني ترهقني كثيراً.

بقيت انتظر حتى اصبحت الساعة سادسة مساءً وقفت بالقرب من الباب انتظره و ما هي لحظات حتى قرع الباب فتحتهُ وإذ به رجلٌ غريبٌ يلبس زياً رسمياً يشبه ساعي البريد.

قال: هل أنتِ الآنسة جمانة؟؟

أجبتهُ باستغراب: نعم ، أنا هي.

أخرج ظرف من الحقيبة التي كان يحملها ثم قال:
هذه الرسالة لكِ.
رسالة قلتها باستنكار، من يرسل رسائل ورقية هذه الأيام.
اخذتُ الظرف منه ؛ فذهب.

أغلقت الباب والحيرة تغزوني، جلست على الكرسي بالقرب من النافذة. فتحت الظرف فكانت رسالة تتضمن طلب توقيع عقد مع دار نشر يرغبون بنشر مؤلفاتي.
لكن لم يسبق لي أن ارسلت مؤلفاتي لدار نشر.

وضعت الظرف جانباً وبدأت الأفكار ترقص في عقلي المشتت.

قطع صوت جرس الباب حبل أفكاري. فذهبت وفتحت الباب كان زوجي قد عاد من العمل. رحبتُ بحفاوةٍ بهِ ؛ كنت مشتاقة له كثيراً .

طلبت منه أن يذهب ليغسل يديه ويبدل ملابسه، لحين اجهز الطعام.

بعد دقائق عاد وجلس في حجرة الجلوس ينتظر الطعام. كان يلتفت في الحجرة كأنه يبحث عن شيءٍ ما.

بقي مشتت حتى وقع نظره على الظرف.

استند على الكرسي الذي يجلس عليه وذهب واحضر الظرف، فتحهُ وقرأ ما كتب بهِ. ارتسمت على وجهه

ابتسامة عريضة ثم نادى علي بصوت يغمره الفرح: جمانة ،جمانة.

أجبته: مابك لقد كنت قريبة، لا داعي للصراخ. ماذا هناك؟؟

قبل أن يخبرني، انتبهت أن الظرف بيده.

قال لي وهو يعانقني: مبارك عزيزتي لماذا لم تعلمني بهذا الخبر السار؟؟

أجبته: في الحقيقة لم استوعب ماذا حصل.فأنا لا أذكر أنني قمت بأرسال مؤلفاتي .

نظرتُ إليه كان يحاول إخفاء ضحكته ثم قال بخبث: حقاً إذن كيف وصلت لدار النشر؟؟ لقد هرمتِ ياعزيزتي ويبدو أنه أصابك الزهايمر.

تعقد حَجبايَ معاً وقلت بغضب: لا زلت في ريعان شبابي. أنا متأكدة أنني لم أرسل مؤلفاتي .

لم يستطع من كتمان ضحكاته المتتالية، حينها عرفت أنه هو من قام بإرسالها.

قلت له: أأنتَ من أرسلتها؟؟

أجابني وهو مازال يضحك: نعم أنا من أرسلتها ومن غيري...ثم أضاف، كتابتك جميلة يجب أن تخرج للعالم.

عزيزتي جمانة لقد وعدتك أن حياتكِ سوف تصبح أفضل وسأحقق لكِ أحلامكِ.

عانقته بشدة وشكرته، اذكر أنني لم أشعر بتلك السعادة منذ عامين.

فقط هو من تمكن من إعادة الإبتسامة لوجهي.

السابع عشر من أذار ، في هذا التاريخ ارتبطت روحي بروحه للأبد.

لا يمكنني نسيان ذلك التاريخ فهو أجمل تاريخ في حياتي كلها...

في هذا اليوم خرج زوجي للعمل.

كنت متحمسة، انتظرت هذا اليوم بفارغ الصبر. قد قررت أن أُفاجئه بحتفالاً صغير نقيمه بعيداً عن ضوضاء الحياة.

لقد قمت بتجهيز كل شيء لِيناسب احتفالنا بيوم زواجنا الخامس.

لقد أشعلت الشموع واطفَأت الأنوار بكل أرجاء المنزل ؛ فساعة قاربت السادسة .

سوف يقرع الجرس بأي لحظة وسنحتفل ونغمر البيت بسعادة.

هذا ما كنت اعتقده قبل أن يدق جرس النَحس.

اسرعت لفتح الباب بحماس، ها قد وصل زوجي العزيز.

فتحته بابتسامة عريضة لكنها سرعان ما تبخرت بالهواء؛ بعد أن رأيت رجال الشرطة.

سألني أحدهم: هل أنت الآنسة جمانة؟؟

أجبته: نعم.

عليكِ أن تأتي معنا.

أخبرته بأنني لا أستطيع الخروج من المنزل؛ فأنا انتظر زوجي سوف يعود من العمل في أي لحظة.

قال الشرطي: يا آنسة أرجوكِ تعالي معنا فقد تجدين زوجك هناك.

تجهمت ثم قلت: لماذا تحتجزون زوجي؟؟ هو لم يرتكب أي جريمة.

قال: ومن اخبرك أنه موقوف في القسم. نحن سنذهب للمشفى لتتعرفي على جثته.

سقطت الزهرة التي كنت احملها بيدي كنت قد جهزتها حتى اضعها على بذلته عندما يدخل المنزل.

سألت الشرطي وانا ابتسم ابتسامةساخرة: جثةُ من؟

وقبل أن يُجيب اكملت: اذهب أرجوك ليس لدي وقت لتلك الترهات.

قال : أنا اتفهم لا يمكنك تقبل هذه الحقيقة بسهولة المتضرر من الحادث زوجك.

ارتديت معطفي بلا وعي وقلت لهُ: هيا بنا لذلك المشفى سوف أبرهن لك أنه ليس زوجي وننتهي من هذه المسألة البائسة.

ركبنا في السيارة وأخذني الشرطي للجحيم نعم كان جحيماً لم أشعر يوما بطول الزحام كما كان يومها، قد كان الطريق طويلا جدا أو أنني الوحيدة التي شعرت بطوله .
عندما وصلنا رفع الشرطي الغطاء عن الجثة فكانت الصاعقة.

انكسار وخذلان ،اشعر أن روحي تقتلع من اعماقي ... دموعٌ كالفيضان.

إنه زوجي جثته، لقد فارق الحياة.

عانقته بقوة وصرخت : أرجوك لا تتركني؛ فأنا لا أقوى على العيش بدونك.

خذني معك أرجوك.

كانت هذه كلماتي الأخيرة له.

لقد احتفلنا بذكرى زواجنا الخامسة. كان احتفالاً من نوعاً آخر. احتفالاً نادراً لن انساه يوماً.

في سابع عشر من آذار قبل خمس اعوام سكنت الروح جسدي وفي ذات اليوم خرجت روحي الممزقة من جسدي الضعيف

مرت أعَوامي من بعده على أقل من مهلها.

كنت اتعذب في كل يوم تشرق الشمس فيه وانظر للجانب الأخر من السرير ولا أجده نائماً هناك؛ فلقد كنت أنام كل ليلة على أمل أن يكون هذا كابوس وسوف استيقظ منه عاجلاً أم أجلاً.

حاولت إقناع نفسي بتلك الأكاذيب، لكن الواقع المّر لا يمكن أن يتغير.

تصورت قبل تلك الحادثة أنني سوف أكمل سنين عمري برفقته، يبدو أنني سأكملُها وحدي.

كنت احاول مراراً قتل نفسي وفي كل مرة كنت استيقظ من أثر المسكنات والمهدئات على سرير المشفى.

وبعد تحسني اعود للمنزل، ليعود برفقتي الحزن والوجع لِمزقانني من جديد.

طلب والدي مني ترك ذلك المنزل والعيش معهما لكنني لم أُطاوعهما؛ فأنا ارغب بالعيش بقية حياتي مع ذكرياته وصوره وكل ما يتعلق به.

والآن بعد خمسٌ وعشرون عاماً من العذاب، اجلس على كرسي متحرك لا أقوى على الحراك في مأوى للعجزة. كل ما استطيع فعله هو تحريك قلمي لأخط هذه التفاصيل الحزينة على أوراقي الباكية.

لا أحد يستطيع تحمل عجوز مجنونة تحاول قتل نفسها وعلى كرسي متحرك.

الحل الأمثل للتخلص مني هو وضعي في هذا المنفى.

حتى بعد هذا العمر الطويل ما زلت اذكره واذكر ضحكاته.

اذكره بكل تفاصيله ، فما زال محفوراً في ذاكرتي.

اخبرني الأطباء أن ذاكرتي اصبحت ضعيفة وقد أصاب بالزهايمر ،

لكنهم جاهلون لا يعلمون أن حتى ذلك المرض اللعين لن يستطيع محو تفاصيله من ذاكرتي الهشة.

*****

مَيسان

كانت تُراقبها بعناية شديدة، من وراء زجاج السيارة الذي امتلأ بقطرات الندى، وتشكر الصدف التي جعلتها ترى تلك الفتاة الرقيقة. ذلك الشعر الطويل ذو اللون الذهبي ووجنتيها كأنهما حبتين من الفراولة. تلك الملامح البريئة جعلتها تتخذ قراراً وتقول: هذه الزوجة المثالية لك.

عقد آدم حاجبيه يسأل والدته مستنكراً: ماذا تقصدين ؟

لم تجب على سؤاله؛ ليقع في حيرة أكبر من السابقة. أخرجت من حقيبتها قلادة وفتحتها ثم قالت: هذه

الفتاة ذاتها التي في الصورة، يبدو أن قلادتها سقطت وهي تعمل، ألا تعتقد أنها ستكون زوجة مثالية لك ؟

نظر إليها بتجهم ثم قال : ما هذا التفكير ؟ فأنا لم أطلب منكِ إيجاد زوجةٍ لي.

أجابت والدته بنبرة عتاب : لكنك كبرت وأصبحت في سن مناسب لكي تستقل وتكون عائلة. منذ فترة وأنا أبحث عن فتاة مناسبة والآن قد وجدتها.

زادت حدة نقاشهم فأدرك آدم أن عليه أن ينهيه قبل أن يتحول إلى شجار لا مفر منه؛ فقال: حسناً سأنفذ ما تطلبينه، لكن قبل أي شيء يجب أن أقابلها واتحدث معها.

لم تكن والدته مقتنعة بكلامه، لكن عليها أن تبقى هادئة؛ لكي لا تشعر الفريسة بالخطر وتهرب وتسقط أحلامها باللحظات.

لِتُجب بتأفف : لك ذلك.

كل شيء في ذلك الدكان، يوحي بِالوحشة، على الرغم من أنه يحتوي على الكثير من الزهور الطبيعية، لكنها خالية من الحياة، فمن تعتني بها روحها مقتولة، فكيف لها أن تمنح الزهور رونقاً وحياة وهي لا تملك أيً منها ؟؟

تلك الزهور المزيفة، التي صنعت بدقة من القماش وبعض الأسلاك المعدنية الرقيقة، لكي تبدو كأزهار حقيقة، كانت هي الوحيدة المحظوظة في ذلك المكان ففي النهاية هي لا تشعر، صنم لا يحزن ولا يفرح.

مرحباً...

التفت مَيسان نحو الصوت، ليقع نَظرها على المصدر، فقد كان شاب عشريني، شعره أسود كثيف وعيناهُ كعيون الغزلان، وتلك القامة الطويلة تمنحه شخصيةً قويةً.

ردت بصوت منخفض: اهلاً بك وأضافت، ما طلبك سيدي ؟

ألم تعرفيني ؟

جعل سؤاله مَيسان تعود بذاكرتها للوراء، لعلها تتذكره. أجابت بعد لحظات : نعم لقد تذكرت، أنت الشاب ذاته الذي ابتاع باقة زهور الأقحوان قبل يومين.

أنتِ على حق.

ما دافعك للقدوم ؟ هل هنالك خطأً ما ؟ ألم تعجبك الباقة ؟

توقفي عن طرح تلك الأسئلة الغريبة؛ كي أتمكن من أخبارك عن سبب قدومي.

حسناً، تفضل.

أخرج آدم من جيبه الأيسر القلادة ومد يده نحوها ثم قال: لقد سقطت منكِ وأنتِ تصنعين الباقة لوالدتي ذلك اليوم. وطلبت إلي أن أعيدها لكِ.

ثم صمت.

تناولت القلادة منه ثم قالت : شكرًا لك

هل هنالك شيء أخر ؟

أجاب وهو يتلعثم : الحقيقة أن والدتي، ترغب بمقابلة عائلتك؛ إن لم يكن لديكِ مانع ؟

استنكرت سؤاله فأجابت : عائلتي ؟ لماذا ؟

أنا لا أعرفكم فكيف تريدون مقابلة والدتي ؟

ثم دمعت عيناها وأكملت : اعتذر، ما تطلبه غير ممكن.

لكن لما لا؟

بدأت دموع مَيسان تتوالى بالنزول على وجنتيها، أثارت فضول آدم فقال: لماذا تبكي؟ أخبريني مابكِ، ماذا هنالك ؟

هذا ليس من شأّنك .

نظر اليها بعدم اكتراث وعاد لسؤالها مرة أخرى عن سبب بكائها، أجابت وهي تسمع دموعها الغبية التي قامت بكشف ضعفها : حسنًا سأخبرك فعلى ما يبدو أنك لن تخرج منها .

مَيسان من هؤلاء الأشخاص القليلي الكلام، لكن عناد آدم وإصراره جعلها تغير مفاهيمها.

قالت بحزن : أنا يتيمة.

اعتذر، لقد جعلتك تتذكرين الماضي.

لا عليك، جُرحي لم يلتئم بعد، عائلتي لم ترحل بتاتاً من ذاكرتي .

كيف حدث ذلك ؟ أعتذر عن تطفلي لكن هل بإمكانك إخباري ؟

وبماذا سيفيدك ؟

لا أعلم، لكن هنالك شيء غريب يدفعني للحديث معكِ.

أنت شخصٌ غريب الأطوار حقاً.

لا يهم، هل ستُخبريني قصتكِ ؟

اجلس، سوف أحضر لك كوباً من القهوة.

بعد لحظات عادت مع كوب القهوة، ومع أول قطرة نزلت إلى فمهِ. بدأت تروي قصتها.

عودة للماضي، قبل خمسة عشر سنة...

أتعرفين ما وجه الشبه بينكِ و بين النجوم يا ابنتي ؟

لا يا أبي.

ابتسم مازن وقال: أنا سأخبرك، تلك النجوم اللامعة تشبهك تماماً. وجودك بيننا الآن كان حلماً بعيد المنال.

ماذا تقصد يا أبي.

لقد رزقنا الله إياكِ بعد سبع سنوات من العناء، لم نكن نتخيل يوماً أن يتحقق حلمنا.

لكن لماذا اخترت لي هذا الأسم.

"مَيسان"، معناه النجمة اللامعة البعيدة. انه يناسبكِ كثيراً، أليس كذلك ؟

ضحكت مَيسان ضحكة بريئة، لم تدرك حينها أن لِإسمها معنى أكبر من ذلك ايضاً.

سكب آدم على قميصه بعضاً من القهوة. انتفض بسرعة، ثم لاحظ أنه قاطع مَيسان وهي تروي قصتها...

انا اعتذر، لقد اتسخت ملابسي، أين دورة المياه، يجب أن أنظفها.

أنها في ذلك الاتجاه.

قالت ذلك وهي تشير إلى يمينه. بعد دقائق عاد آدم متحمساً، فقال: أكملي رجاءً أريد أن أعرف كل شيء بتفصيل.

نظرت إليه مَيسان وقالت: اعتذر لا يمكنني أن أكمل الآن، فقد تأخر الوقت وعلي أن أغلق المتجر.

ودع آدم مَيسان وغادر.

في اليوم التالي...

اهتز الجرس المعلق على الباب، مما جعل مَيسان تلتفت له، فوجئت بقدومه، فقد عاد مرة أخرى.

كيف حالكِ ؟

بخير، لكن في الحقيقة لم أتوقع مجيئك.

منذ الآن توقعِ مجيئي دوماً إلى هنا.

بعد أن أنهى آدم جملته، نظر حوله، فوجد المتجر مليء بالزبائن؛ ليدرك أن قدومه في هذا الوقت غير مناسب.

يبدو أن قدومي في هذا الوقت خاطئ ؟

أتعلم الالتزام بوقت عملك أمر في غاية الأهمية؛ لكي لا تخسره.

لا عليكِ، لن أكون سبباً في خسارة عملك، سوف أعود في وقت لاحق.

وبالفعل في اليوم الذي يليه عاد آدم كما أخبر مَيسان.

هل يمكنني الدخول؟

بتأكيد تفضل.

هل ستكملي القصة لي اليوم ؟

ألم تمل ؟

أتعلمين لم أنم الليلة الماضية، بداخلي الكثير من التساؤلات و ابحث عن إجابتها.

حسناً، اجلس لن أدعك تنتظر طويلاً.

تبدأ مَيسان بالكلام، فيلوذ آدم بالصمت وكل حواسه مصغيةٌ لها...

بعد أن أكملت مَيسان ستة عشر سنة من عمرها، وجب عليها مفارقة عائلتها؛ لإكمال دراستها الثانوية في مدرسة داخلية. رحيلها عنهم كان أشبه بوباء تعاسة إجتاح أرجاء منزلهم بالكامل.

وفي وسط المدينة المزدحمة بالسكان، تقبع تلك المدرسة الكبيرة. تُديرها آنسة من طبقة مرموقة تدعى منى، تتصف بالجمود وغضبها الشديد. عندما وصلت مَيسان إلى المدرسة، شعرت بضيق واختناق في صدرها. كانت حزينة على فراق عائلتها و تشعر بالاشتياق لكل تفاصيل حياتها في القرية الصغيرة؛ فهي عالم بأكمله بالنسبة لها.

استقبلت الآنسة ياسمين، مَيسان وأَرشدتها إلى غرفتها، وعندما وصلت بدأت تنظر حولها، لم تلاحظ شكل الغرفة ولا حتى طلائها أو أرضيتها، بل اقتصر نظرها على تلك الفتاة الشقراء ذات العينين الخضراء الصغيرة التي غطتها النظارات الطبية. حيث كانت تمسك رواية لأغاثا كريستي، الكاتبة المفضلة لِميسان؛ فهي تحب الروايات البوليسية والألغاز كثيراً. لاحظت المعلمة نَظرات مَيسان، فقالت: هذه دارين سوف تكون رفيقتك بالسكن. أشاحت دارين نظرها نحو مَيسان وهي ترفع نظارتها الطبية، وتفكر إن كانت تناسبها كرفيقة في الغرفة أم لا.

اقتربي يادارين، هيا تصفحا، عليكما أن تكونا صديقتين مقربتين.

أنا لا أحتاج رفقة؛ رفيقي الصدوق الكتاب.

قالت مَيسان ببراءة : أحقاً تحبين الكتب مثلي ؟

مثلك؟ قالتها باستهزاء. هل تغارين مني وترددين كلامي ؟

أخرجت مَيسان من حقيبتها وهي مستاءة من غرور تلك الفتاة الرواية المفضلة لديها "جريمة في قطار الشرق" لنفس الكاتبة التي كانت تقرأ لها دارين قبل لحظات.

نفثت دارين بتأفف وقالت: حسناً صدقتك.

قطع صوت ضحكة آدم التي لم يستطع أن يخبئها كلام مَيسان؛ لتنظر له باستنكار قائلة: مابك؟ لما تضحك بهذه الطريقة ؟

اعتذر، لم أتمكن من تمالك نفسي، ملامحك وانتِ تروي القصة كانت مضحكة للغاية، يبدو أنكِ عُدتِ إلى الماضي كما لو أن الحدث حصل أمامكِ الآن.
كنت في ذلك الوقت منزعجة جداً، لكن في النهاية سوف تصبح تلك الأحداث ذكرى قديمة، نبتسم لبعضها ونبكي على الأخرى.
أنتِ محقة، لكن اجعلي الذكريات المفرحة اختياركِ دوماً، أما تلك المحزنة ألقي بها بعيداً.

ابتسمت مَيسان وعادت لتكمل القصة....
صرخت أمينة المكتبة: هنالك كتابٌ مفقود، أين هو ؟
أجابت الآنسة ياسمين بهدوء : هل بحثتي جيداً ؟
نعم، لكنني لم أجد له أي أثر، عليكِ أن تسألي طالباتك، يبدو أن أحدهم قد سرقهُ من المكتبة.

غضبت الآنسة ياسمين من كلامها وقالت : الطالبات في الفصل مهذبات ولا يمكن أن يفعلن هذا.

هذا الكلام لا يعنيني، أنا المسؤولة عن كل الكتب ولا يجب أن أقصر في عملي. لذلك سأبحث في ادراجهنَ.

أدركت الآنسة ياسمين أن لا فائدة من الحديث معها؛ لذلك أخذتها؛ لكي تبحث ويطمئن قلبها.

دخلت المعلمة وأمينة المكتبة الفصل وطلبت من الطالبات النهوض؛ لتبدأ في البحث عن الكتاب المفقود، عندما وصلت إلى الدرج الذي تجلس عليه دارين ومَيسان، كانت المفاجأة، فقد وجدت الكتاب هناك.

صرخت أمينة المكتبة في وجه دارين : أيتها السارقة سوف أعاقبك عقاباً شديداً.

لا يا آنسة، اتركيها أنا المذنبة لقد أخذت الكتاب دون إذن منك؛ وكي لا أعاقب وضعتها بالقرب من دارين.

نظرت أمينة المكتبة إلى مَيسان وأمسكت يدها بقسوة وقالت: سوف تُعاقبك الآنسة منى هيا بنا.

كان صدى صوت الضربات على كلتا يدي مَيسان يتردد في أرجاء المدرسة، وبعد أن وبختها المديرة أمرتها بالانصراف إلى غرفتها، عندما وصلت كانت عينيها مغرورقة بالدموع. أسرعت دارين نحوها وقالت: لم فعلتي ذلك ؟ أنا من يجب أن يعاقب.

لا عليك، سوف يزول الألم بعد قليل.

أنا آسفة للغاية، كل ذلك حدث بسبب حماقتي.

كانت هذه الحادثة القاسية بداية الصداقة القوية بينهما. فمنذ تلك الحادثة وهما صديقتين مقربتين.

الثاني من شهر حزيران، هذا التاريخ مهم جداً بالنسبة لعائلة مَيسان؛ ففي ذلك التاريخ ولدت النجمة المضيئة لحياتهم. وبعيداً عن المدرسة، في ذلك الكوخ. كانت والدة مَيسان تقوم بتحضير الكعك والحلويات اللذيذة لابنتها الغالية. لم تكن مَيسان تعلم شيء عن حضور عائلتها إلى المدرسة، حيث كانت تجلس في غرفتها تذاكر للإختبارات، وبينما هي تقلب صفحات الكتاب. سمعت صوت جدتها، أسرعت وفتحت باب غرفتها؛ لتجد أفراد عائلتها يقفون أمامها بشوق. لم تصدق مَيسان عينيها، اقتربت من جدتها تتأملها؛ لتجد نفسها بعد ذلك بين ذراعيها.

احتفلت مَيسان بعيد ميلادها السابع عشر مع عائلتها وصديقاتها، حيث كانت تلك الليالي من أجمل الليالي التي قَضتها في المدرسة. حصلت على الكثير من الهدايا الجميلة لكن القلادة التي أهدتها إياها جدتها كانت أغلى ما تملك.

بعد سنة ...

اجتمعت الآنسة منى بالطالبات لأخبارهنّ بشيء مهم قائلة: اليوم، هو اليوم المنتظر للجميع سوف تعلن نَتائجكن في الاختبارات النهائية. أذهبنَ إلى المسرح بعد ساعة، سوف تجدنَ النتائج مُعلقة على جدرانه. وبعد أن أنهت كلامها حتى أمرتهنَ بالانصراف.

انتهت الساعة التي تفصل الطالبات عن النتائج...

صرخت مَيسان: هيا دارين أسرعِ علينا توجه إلى المسرح؛ النتائج ستعلن الآن .

وصلت جميع الطالبات للمسرح وبدأنَّ بالبحث عن أسمائهنَّ. قالت دارين: مَيسان وجدت اسمكِ لقد نجحتي.

اقتربت مَيسان منها وقالت: أحقاً ما تقولين؟

أجابتها :نعم أقسم لكِ، انظري وتأكدي بنفسكِ.

وبالفعل نظرت للورقة المعلقة على الجدار، أغمضت عينيها قائلة: الحمد لله، لا أصدق أنا سعيدة للغاية.

ثم انتفضت لتكمل كلامها: علينا البحث عن نتيجتك. وافقتها دارين قائلة: بتأكيد..

وبعد البحث طويلاً وجدت دارين نتيجتها، وكما توقعت لقد نجحت هي أيضاً.

هنأت الآنسة ياسمين الطالبات قائلة: مبارك يا فتيات أنا فخورة بكنَ، هذه ثمار تعبكنَ، لكن الرحلة لم تنتهي بل بدأت الآن. بتوفيق يا عزيزاتي.

ذهبت مَيسان إلى غرفتها برفقة دارين وبدأت بجمع ملابسها وترتيب الحقيبة والإبتسامة تزخرف وجهها. بعد أن انتهت مَيسان ودعت صديقتها والآنسة ياسمين.

كانت سعيدة لأنها ستعود للديار وفي ذات الوقت حزينة على فراق صديقتها وذكرياتها الجميلة في المدرسة. ركبت القطار وهي تتأمل المدينة من وراء الزجاج، مودعةً ؛ لكي تعود إلى حياة الريف البسيطة والمروج الخضراء.

وبعد عناء السفر الطويل وصلت مَيسان إلى وجهتها، إلى عائلتها التي دامَ غيابها عنهم سنتين متعبتين.

هرولت نحو الباب و دقت الجرس، فتح والدها، ارتسمتْ حينها على محياه ابتسامة عريضة عند رؤيتها، ضمها لصدره بكل شوق وحنان.

على الرغم من الاستقبال الكبير من والديها، إلا أنها شعرت بشيء غريب، لم ترى جدتها إلى الآن. بدأت التساؤلات ترقص في عقلها المشتت: أين جدتي ؟

هل هي في زيارة لأحد الأقارب ؟

أم هي نائمة ؟

قطع سؤال والدتها حبل أفكارها : ما بكِ عزيزتي ؟

أجابتها بسؤالٍ آخر : أين جدتي يا أمي ؟

تغيرت ملامح وجه والدتها ودمعت عيني مازن. أجابت لينا على سؤال ابنتها : لقد توفيت ،غادرت روحها إلى السماء البعيدة. صمتت مَيسان وعلامات الذهول تملأ وجهها. كان كلام والدتها كالجمر

الحارق، لم تستطع نطق أي حرف، شعرت بضيق في صدرها ثم بدأت عيناها تنزف دموع كانت كالدماء. احتضنت لينا ابنتها بأسف شديد.

ثم نظرت مَيسان إلى والدتها وسألتها وهي تشهق: لكن كيف ذلك؟ كيف توفيت؟

أجابها والدها والحزن يغمر قلبه: لقد أصيبت بمرض الطاعون، بسبب تلك الفئران اللعينة. لم تستطع مقاومة المرض سوى بضعة أيام؛ فهي كبيرة بِالسن وجسدها ضعيف وذلك المرض أجهدها بالكامل.

لم تتحمل مَيسان تلك الحقيقة المريرة، ألقت حقائبها أرضاً وأسرعت إلى غرفة جدتها وعيناها ممتلئة بالدموع، احتضنت ملابسها ودست رأسها في سرير جدتها؛ كي تشم رائحتها التي تعبق في ثناياه.

لم تنسى مَيسان جدتها يومًا، لكنها حاولت جاهدًا أن تتقبل تلك الحقيقة وتتعايش معها بأي وسيلة.

سقطت دمعة على الطاولة. نظر آدم إلى مَيسان، ليجد عيناها تذرف دموعًا، اقترب منها وتناول منديلاً وقدمه لها.

توقفي عن البكاء.

لايمكنني التحدث الآن أذهب أرجوك.

رؤية آدم لدموعها جعلته يشعر بالارتباك، لم يسبق له أن شعر بذلك الاحساس الغريب، كان عاجزاً فقط أكتَفى بقول تلك الجملتين: كما تريدين، انتبهِ لنفسك.

منذ أن عاد آدم إلى منزله وهو يفكر في مَيسان، ويتذكر ملامحها البريئة ودموعها التي جعلت قلبه يهتز. تمنى لو أن بمقدوره فعل شيء؛ لِيسكن ألمها.

استيقظ آدم في اليوم التالي، لكنه لم يتوجه مباشرة إلى مَيسان، فهذه المرة كان متردداً قليلاً، فهو لن يتحمل رؤية دموعها مرة أخرى. فكر طويلاً، و في النهاية فضوله انتصر على خوفه.

وصل إلى مكان عملها، نظر في أرجاء المكان باحثاً عنها، اقترب من الرجل الذي يقف خلف الطاولة؛ لكي يسأله عن مَيسان، فأجاب :أنها متعبة لن تأتي إلى العمل اليوم.

طلب آدم عنوان منزلها واتجه بسرعة إليها...

دق الجرس، فتحت له فتاة شقراء الباب وسألته ماذا يريد، فأجاب : أنا أبحث عن فتاة تدعى مَيسان، هل هذا منزلها ؟

أجل أنه منزلها، لكنها متعبة.

تذكر آدمْ وصف مَيسان لصديقتها، ليكتشف أن هذه الفتاة دارين.

أنا صديقتها المقربة يمكنك إخباري ما تشاء وأنا سوف أعلمها.

هل أنتِ دارين؟

صدمت دارين من كلامه، فكيف لرجل غريب أن يعرف اسمها.

كيف تعرف اسمي؟ من أخبرك به؟

مَيسان من أخبرتني.

يبدو أنك شخص مقرب، فلماذا تخبرك عن حياتها وأصدقائها.

روى آدم لدارين كيف التقى بمَيسان وكم ألح عليها؛ كي تخبره بقصتها.

سألت دارين آدم الكثير من الأسئلة، أجابها بكل صدق، مما جعلها تثق به؛ وتتخذ قراراً بإكمال قصة مَيسان له.

لقد عانت مَيسان في حياتها كثيراً، لكنها كانت قوية وحاولت الصمود أمام الصعاب، وعندما بلغت سن العشرين، رحلت مجدداً عن والديها لتكمل دراستها العليا.

وبعد سنة من بداية دراستها في الكلية وصل لمَيسان خبر وفاة والديها في رسالة من أهل قريتها الذين

حالفهم الحظ و استطاعوا الهرب من الحرب التي اندلعت في بلدتهم، امتلأ الكوخ الصغير بنيران هائجة، تلتهم أي شيء يقف في طريقها، ولم يجرؤ أحد على الدخول ومساعدتهم، فَتحولت أجسادهم إلى رماد.

أذكر جيداً ذلك اليوم كيف كان حالُ مَيسان، عندما وصَلتها تلك الرسالة التعيسة، شعرت أن روحها تتمزق. كان ذلك اليوم ماطراً، كما كانت عيناها تمطر دموعاً معها. خرجت تصرخ وتبكي، لعل الألم الذي بداخلها يُنتزع من جسدها.

كان الشارعُ في ذلك اليوم هادئاً جداً كل ما تمكنت من سماعه في ذلك اليوم هو صدى صراخها الذي يتردد في الأرجاء.

بعد أن سمع آدم قصة مَيسان، علم أنها وحيدة وكم هي شخص تعيس في هذه الحياة الموحشة، تعلق بها. كان يعتقد في البداية أنه يشعر بالحزن لأجلها، لكنه وبعد مدة أدرك أن مشاعره ليست شفقة وحسب بل مشاعر حب. حيث كان يشتاق لها عندما تغيب عنه، وحين يراها يشعر أن قلبه يخفق بسرعة، لكنه لم يخبرها بمشاعره، فقد كان يظهر لها وجه الصداقة والأخوة لعلاقتهما.

عادت مَيسان إلى حياتها المملة، لكن هذه المرة كانت أسوء بكثير، فقد طُردت من العمل بسبب إهمالها، أصبحت شاردة الذهن ولا تقدم الباقات للزبائن في الوقت المحدد والزهور تذبل في كل يوم أكثر، كما تذبل مَيسان معها.

وذات يوم قرر آدم أن يتحلى بالشجاعة و البوح لمَيسان بمشاعره الحقيقية. قطف لها وردة العشاق، وردة الجوري الحمراء الجميلة من حديقة منزله وتوجه إليها، وعندما وصل، نظر إلى عينيها واكتفى بصمت، فعيناه كانت تقول كل ما يرغب بقوله. شعرت مَيسان بأن قلبها يخفق لكنها لم تكن تدري أنه يخفق بسبب حبها لآدم. سألته عن سبب قدومه بشكل مفاجئ فأجابها بلا وعي: مَيسان أنا أحبكِ، هل تقبلين بي زوجاً لكِ؟ ثم قدم لها الزهرة بكل رقة.

صمتت مَيسان وأعادت شريط ذكرياتها وتصرفات آدم لتكتشف أنه معجبٌ بها منذ وقت طويل، لكنه لم يكن يملك الشجاعة الكافية؛ كي يخبرها بالحقيقة، كما فعلت هي أيضاً . قالت بكل براءة : أكنت تعلم أنني معجبةٌ بكَ أيضاً ؟!

نظر إليها وسعادة تسكن أعماقه: هل استطيع القول الآن أنكِ موافقة على الزواج بي؟

ابتسمت ابتسامة رقيقة وقالت: أجل.

وفي اليوم التالي حضرت والدتهُ إلى منزل عائلة دارين لطلب يد مَيسان منهم؛ فهم عائلتها منذ أن قست الحياة عليها. وبعد مناقشات طويلة، احضروا الشيخ لإتمام الإجراءات اللازمة . حدد الزفاف بعد سنة، لأن آدم وضع شرطاً قبل الارتباط بمَيسان، أن تكمل دراستها في كلية الآداب وهو سوف يكون المسؤول عن كل التكاليف.

تغيرت حياة مَيسان للأفضل منذ أن ارتبطت بآدم، فقد عوضها عن كل النقص الذي شعرت بهِ بعد موت عائلتها. كانت سعيدة، لكن فرحتها لم تكتمل، لعدم وجود عائلتها برفقتها.

بعد أن أنهت مَيسان دراستها حان اليوم المنتظر، وهو يوم تخرجها اليوم الذي تمنت قدومه كثيراً، تزينت ولبست ثوب التخرج، ذلك الثوب الذي لطالما حلمت به. حضر الجميع للتهنئة بنجاحها، كانت طقوس الحفل جميلة للغاية، سعادت مَيسان في ذلك اليوم لاتوصف، حين ذكر اسمها على المنصة، شعرت بقلبها يخفق من جديد وكأنها ولدت الآن...

بدأت تحضيرات الزفاف بعد أسبوع من تخرجها.

كان زفاف آدم ومَيسان مُلوكياً جداً، ملأت قاعة الاحتفال بـ زهور الأقحوان والجوري والكثير من الزنبق. وتلك الستائر السكرية التي صنعت بعناية من الدانتيل والقماش الحريري لتناسب زفافاً راقياً كهذا.

ثوبها كان مرصعاً باللؤلؤ، بدت جميلة للغاية، كالبدر المنير في عتمة الليل.

مهما طالت مدة اختباء الشمس خلف السحاب، لابد يوماً ان تعود لتشرق من جديد وتنير الدرب.

*****

الحجرة رقم ٣٠١

في أخر الرواق من الجهةِ اليمنى له، كانت الحجرة رقم ٣٠١ قابعةً في تلك الزاوية تلفها هالةٌ من الوحشةِ والكآبة . تقطن بداخلها روحٌ متعبة غارقة في ظلمتها الحالكة .

كانت ستائرُ الحجرةِ مغلقةً دومًا، تحاولُ أشعة الشمس التسلل إليها كل صباح ولكن بلا جدوى . جدرانها السوداء الرطبة تستنجد لعلها تحصل على القليل من الدفء ؛ فقد حرمت منه وقتًا ليس بهين .

تجلس وحيدة في الحجرة ساكنة وصامتة، ومن بين الظلام الشديد الذي يلتف حولها لمع شيءٌ ما على الأرض، اقتربت ونظرت إليه لتجد عقدها الصغير قد غافلها وسقط بلا إذن كما فعل شعرها سابقًا . أسرعت إليه بحزن وعادت لتربطه على عنقها فما عاد لها شيء يشعرها بأنها فتاة سواه، انقطعت عن العلاج وعن العالم في الوقت ذاته بعد أن شعرت أن رائحة الموت تقترب منها شيئًا فشيء، جعلت من نفسها سجينة في هذه الحجرة، لم تكن سعيدة أبدًا ولكن قلبها بدأ يتهمش ايضًا كجسدها الذي أصبح هزيلًا جدًا بعد أن قامت الخلايا السرطانية بغزوه .

كلما حاولت التفكير في الخروج من سجنها الذي صنعته لنفسها، تفكر بنظرة الشفقة التي سوف تتلقاها

من الناس ثم تفكر بمظهرها المخيف كم سيبدو سيئًا أمام طفل لم يتجاوز السنتين من عمره، تقترب قليلًا من المرآة تتحسس بشرتها المهترئة والبثور الكثيرة عليها، تمتد يدها إلى قشرة رأسها الظاهرة فتنهار بالبكاء أرضًا . تنهض مجددًا وتستدير عائدة إلى سريرها تنتظر لحظة الحرية لعلها تكون قريبة .

في إحدى الليالي الباردة التي كانت تعج بأصواتًا مخيفة، نُهام البوم ونباح كلاب غاضبة . اختلط صوت صراخها المؤلم بتلك الأصوات . شعرت وكأنها في صراع جسدها يأبى الخضوع يحاول جاهدًا إبقاء قلبها ينبض، أما روحها تهرول مسرعة نحو حياة البرزخ باحثة عن الحرية .

نبضات قلبها تتسارع وروحها تخرج بصعوبة من ذلك الجسد العنيد، أمسكت بقبضتها ملاءة السرير وصرخت بقوة صرخة الوداع الأخير . ارتخت قبضتها قليلًا فامتدت جانبها وركد جسدها ،هدأت النبضات وبدأت أطرافها تبرد شيئًا فشيء .

أسرعت روحها تخرج بعيدًا تناجد الحرية، تركت ذلك الجسد الهزيل الذي كان أشبه بسجنٍ عقيم لا أمل له بأن ينجب الشفاء يومًا ما . تركت روحها الحجرة رقم ٣٠١ لتتذوق طعم الحرية أخيرًا هاهي الآن تجوب الطرقات بلا خوف . تبتسم لأرواح الأطفال وهي تلامس شعرها من جديد ووجها الصافي، كانت كملاك أبيض .

****

جدران حية

بعد نقاشٍ حاد و صراخ كاد مسموعًا للجميع في الخارج، ألقت نهى بجسدها على الأرض وبدأت تجهش بالبكاء قائلة : ولدي ليس مجنونًا ... أنه جميل، جميلٌ جدًا من الداخل .

اتسعت عينا زوجها الجاحظتين وصرخ في وجهها : كيف لا يكون مجنونًا ؟ إن شكله لا يوحي إلا بذلك، لقد يأست من شكوى المعلمين عنه والزملاء الجميع يهرب منه . هيا فسري لي سبب تصرفاته الغير طبيعة .

استندت على الكرسي القريب منها ونهضت تنظر إليه نظرة كره ثم قالت : أنتم جميعًا المجانين ولدي لا يشكو من شيء وإن كان به علة فهي جميلة للغاية وأنا أحبه جدًا وهو ليس له ذنب بكل هذا، أنتم من تحتاجون للعلاج . عالجوا عقولكم المريضة أو لربما إبحثوا في هذه الجمجمة التي تتوسط جسدكم إن كان حقًا بها عقل .

ما إن أنهت كلامها حتى استقرت صفعة قاسية على وجهها، أمسك يدها وضغط عليها بقسوة ثم قال : لقد تحملت ولدك المريض هذا وقتًا طويلاً لأجل حبنا، أخبرتك أن ترسيله لوالده مرارًا، فها هو يلهو مع الفتيات بعد أن قام بتطليقك وترك لكِ هذه العلة التي تسمينها ولدك ،لا أحد يحتمل أن يتكفل برعاية

طفلٍ غريب الأطوار مثله، لقد سئمت من هذه الحياة لم نعش لحظة جميلة واحدة بسببه .
نهى ... عليكِ الآن أن تختاري بيني وبين ولدك، فأنا لم أعد أحتمل .

توالت دمعاتها الدافئة بنزول على وجنتيها وكأنها تحفر أخاديد ؛ كي تُبقي أثر هذه الكلمات الجارحة على ملامحها الهشة . أجابته وهي تشعر بغصة تخنقها : دعني أفكر أرجوك لا أريد التحدث الآن .

تركته واتجهت إلى غرفة ولدها، وقفت تنظر إليه من شق الباب، مشاعرٌ كثيرة ومختلفة كلها تتخبط في عقلها في ذات الوقت لا تعلم ماذا تفعل، أتتركه للعلاج فتكون أسوء أُمٍ على الإطلاق ؟ أم تبقى معه

وتترك زوجها، فتعود مخاوفها من حديث الناس عنها أنها مطلقة وللمرة الثانية ؟

شعرت وكأن الجدران حيةٌ فهي تراها الآن تزحف نحوها تحاول الإطباق عليها، شعرت بالإختناق الشديد حاولت سحب كمية من الهواء لعلها تنعش جسدها الميت ولكن بلا جدوى . شعرت أن الأكسجين يتلاشى ببطء وكلما حاولت التنفس اختنقت أكثر .

تمالكت نفسها واستجمعت قواها ثم اقتربت من ولدها وهو يدير وجهه للحائط محاولة إبصار شيء لعلها تعلم ماذا يفعل هناك، اقتربت أكثر لتجده يرسم

على الحائط ملامح وجه . ربتت على كتفه فنظر إليها وابتسم ثم سألته : لمن هذا الوجه الجميل الذي ترسمه عزيزي ؟

ابتسم مجددًا وقال وهو يتلعثم : إنها ... إنها ملامحكِ، ثم أكمل أمي هل حقًا سوف تتركيني لأنني مجنون كما قال ذلك الرجل القبيح في الخارج ؟

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها، غافلتها دمعتها ونزلت من عينيها ثم أجابت : ومن قال ذلك أنت لست مجنونًا أنت مميز و جميل للغاية وأنا لن أتركك أبدًا عزيزي .

أنا أحبك وأنت تعلم أليس كذلك: بلى، وأنا أحبك أمي .

شعرت بقوة بعد أن احتضنت ولدها وقامت إلى زوجها بحزم وقالت : لقد عزمت أمري، ليذهب كلٌ منا في طريقه، وأنا أعتذر عن الحياة التي لم تتمكن من عيشها سابقًا بسببي، فلتذهب الآن وتعش حياتك كما ترغب .

وأنا أريد أن أعيش أيضًا، و لا يمكنني التنفس حتى دون أن يكون ولدي بقربي ودعني أخبرك شيئًا قبل رحيلي، أنك لن تجد السعادة في حياتك مهما حاولت، فلا سعادة بلا رضا بما قدره الله لنا، قدري كان أن أنجب طفلًا مريض بالتوحد و الصواب أن اعيش كما قدر الله لي ؛ كي أكمل حياتي سعيدة.

*****

زفاف حزين

نظرت إليها والدتها وهي تضع الزهور البنفسج على شعرها و تخبرها كم ستكون جميلة وتسحر الحضور. وقفت تتأمل نفسها أمام المرأة سعيدة لأنها ستكمل حياتها برفقة من احبته . وآلان جاء اليوم المنتظر سوف ترتدي ذلك الثوب الأبيض وتجلس بقربهِ أمام الجميع . وصلت سيارة الزفاف فقد وصل أميرها ؛ لكي تبدأ المراسم ابتسمت وانتظرت دخوله من الباب بحماس وما إن وصل حتى بدأ صوت الرصاص يعلو. لم تأبه لتلك الأصوات فقد كانت معتادة عليها وسعادتها في تلك اللحظة جعلتها تنسى كل شيء خارجا .كانت بلهاء لدرجة أنها لم تكن تعلم أن تلك

الأصوات إنذار وتحذير بأن القادم اسوء، نسيت أن الشر القادح لن يزول خطره فجئة .

نظرت إليه وعيناها تفيض دموع الفرح. امسك يدها ووعدها أنها ستعيش حياة سعيدة برفقته ولا شيء في هذه الحياة سوف يكون قادر على إيذائها. عاد صوت اطلاق الرصاص وهذه المرة كان ممزوجاً بِصوت القذائف المخيفة، ليدرك الحضور أن هنالك شيء ما سيحدث، ولسوء حظهم أدركوا ذلك متأخراً، لتقع في وسط الاحتفال قذيفة و تدمر كل ما حولها. امسك يدها يخبئها من الأذى. سقطت قذيفة أخرى لتجعل وعوده لها هباء منثور ... لم يتمكن من حمايتها، صرخ يبحث عنها ولكن لا إجابة حتى وجد جسدها ملقى على الارض ودمعتها ما زالت دافئة تسير على خدها الرقيق وكأنها تودعه . جلس أمام

جثتها التي التفت بذلك الرداء الابيض وهي داخل الكفن، يخبرها كم هي جميلة ويعتذر لها ؛ فلم يكن قادراً على الوفاء بوعودهِ...

فقد جعلها الحرب أول عروسٍ تزف إلى قبرها.

*****

الهندباء

الحادي عشر من شهر شباط، كانت أخر مرةٍ أراها فيها. توفيت ابنتي علياء في ذلك التاريخ البأس. كان عمرها حين فارقت الحياة اثنى عشر عاماً كانت بعمر الزهور، تماماً كَزهورها التي لطالما اعتنت بها وغمرتها بالحنان وكأنها طفل رضيع.

منذ كانت في سن السادسة وهي تعشق الزهور، صنعت حديقة صغيرة وزرعت أنواعاً كثيرة منها، كما أنني جلبت نبتة الهندباء لها، أخبرتها حينها أنه يمكن

لتلك النبتة أن تحقق أمنياتها كنوع من المزاح، لكنها أحبتها كثيراً وكانت تمنحها الأمل وتعيد لها التفاؤل وتزيح عنها الحزن .

عندما اكتشفنا مرضها، حاولنا إخفاء الأمر عنها؛ كي لا تشعر بالإحباط، لكننا لم ننجح في ذلك. فذات يوم سمعت حديث جرى بيني وبين والدتها عن علاجها، وكيف لنا أن نقنع ابنتنا الصغيرة بأن تأخذ العلاج دون أن تشعر بأن حياتها ستنتهي.

عندما سمعت الحوار سقطت لعبتها الصغيرة من يدها محدثة ضجة خفيفة. لكنها كانت كفيلة بأن تكشف وجودها خلف الباب.

خرجنا من الغرفة؛ كي نلحق بها ونُطمئن قلبها ونُخبرها أن لكل مرض علاج وطب تطور؛ لكننا نسينا أنها طفلة وأن ذلك الكلام لا ينفع حينها .

أسرعت وقطفت من نبتة الهندباء. اغمضت عينيها، وتمتمت ثم نفثت عليها، لتلهو بتلاتها في الهواء وكأنها تشق طريقها نحو قصر الأماني؛ كي تحقق لصغيرتي أمنيتها، بأن يموت ذلك المرض اللعين... لكن مزاحي لم يجدي نفعا في ذلك الوقت ؛ فقد رحلت صغيرتنا ورحلت معها السعادة .

*****

نسيان

جلس ذلك الرجل الغريب الذي امتلأ وجه بِعلامات الشقاء التي خلفتها الحياة التعيسة، على أحد المقاعد في المطار. كان ينتظر ابنته العائدة من ألمانيا بعد أن أنهت دراستها الجامعية هناك.

أصبحت الساعة السادسة مساءً إنه موعد وصول الطائرة، سوف يرى ابنته بعد أربع سنوات من الغياب الآن وبعد لحظات.

سار نحو السياج الحديدي، ينتظر ظهور ابنته من بين الجموع، تلك الفتاة الرقيقة التي تشبه والدتها التي

توفيت قبل ثلاث أعوام. وبينما كان ينتظرها اقتربت منه فتاة عشرينية عانقته بشوق. نظر إليها باستنكار وتجهم في وجهها، ثم ابعدها عنه قائلاً: ما بكِ يا فتاة، ألا ترين أنا بعمر والدك لا يجوز أن تفعلي هذا.

ابتسمت واقتربت من جديد وقبلت جبينه.

فصفعها على وجهها، تجمهر الناس في المطار ثم صرخ الرجل وهو يرمق بنظراته الفتاة والناس ويقول: من انتِ ومن هم؟؟ لما أنا هنا ؟؟

اعتذرت الفتاة من الناس، وتمتمت لا بأس لابد أن يتذكرني مجدداً.

كانت تقول تلك العبارات وقلبها تملأه حسرة قاتلة.

*****

وَهــم

دخل حجرته الصغيرة التي احتوته وزوجته الصبور فيها سنواتٍ طوال، اقترب منها وهي نائمة كملاك أبيض على السرير، انحنى يقبل جبينها بحب . فتحت عيناها ببطء وابتسمت له ابتسامة خجولة ثم امسكت يده واستندت عليها محاولة النهوض .

وضع يده على ظهرها محاولًا المساعدة وهو يقول بحنو : أنا بجانبك عزيزتي سوف تتحسني وتستعيدي نشاطك وعافيتك ومن ثم تعودي إلى الغناء المزعج وأنت ترتبين الحجرة كل صباح وبتأكيد سوف أغلق أنا أذني فصوتك سيء للغاية . أنهى كلامه وحك أنفه .

نظرت إليه وهي تحاول إظهار ابتسامة مزيفة وقالت: يالك من كاذب .

وقع كتاب من يده كان قد جلبه ليقرأه لها ؛ كي لا تمل . نظر إلى السرير بعد أن تناول الكتاب لكنه لم يجدها نهض بسرعة يريد البحث عنها ولكنه عاد وجلس بهدوء وألقى بجسده الهزيل على السرير وأخذ يستنشق عطرها العالق على الملاءة، سالت دمعته الدافئة على وجنتيه وقال : أنا أرى طيفك في كل مكان عودي لي أرجوك

فقد أتعبني غيابك جدًا، غطى رأسه بالوسادة واغمض عينيه ثم تمنى أن يذهب إليها عما قريب .

*****

شجرة التين

كانت جالسة تنتظره تحت الشجرة كما وعدها، وتراقب ما حولها بهدوء، وتردد كلاماً غير مفهوم: سيأتي الآن، حتماً سيأتي كما وعدني.

أشاحت فتاة بنظرها إلى المقعد الذي يقابلها لكي تَسألها: من تنتظرين؟؟

سمع حديثهما رجل يرتدي ثوباً أبيض، وضع يديه خلف الكرسي الذي تجلس عليه وأجاب : أنها تنتظر خطيبها الذي توفي منذ خمسة أعوام في حادث وهو قادم لمقابلتها عند هذه الشجرة وإلى الآن لم تستطع نسيانه؛ فمازال عقلها عالقاً عند شجرة التين.

*****

عفاريت الليل

بعد نومٍ عميق فتحت تلك الفتاة الصغيرة عينيها؛ لتستقبل يومها بكل نشاط وتفائلٍ .

لكن سرعان ما تلاشى هذا النشاط، فقد نظرت إلى النافذة، لكي ترى أشعة الشمس، لكنها لم تكن تخترق ستائر غرفتها كالعادة.

مما أثار التساؤلات في عقلها الصغير.

وبينما تحاول الإجابة على تلك التساؤلات الكامنة داخلها، اهتزت خزانتها وسقطت الدمى عنها، ثم سمعت صوتاً مخيفاً يخرج منها، وكأن بداخلها عفريت يحاول الخروج ليلتهمها.

اتسعت عينيها واختبأت تحت الغطاء وهي تضم كلتا يديها نحو قدمها متمنية اختفاء ذلك الصوت، لتعود و تَنم داخل حلمها.

*****

العقيم

بينما كان يجلس خلف مكتبه في عيادته الصغيرة، راوده اتصال على هاتفه الأرضي أمسكه وأجاب، قد كان المتصل سيدة عجوز، ترغب في الاستفسار عن دواء، لتخفيض درجة الحرارة.

أجاب على سؤالها وأقفل الخط.

في اليوم التالي تكرر إتصالها، وهذه المرة تبحث عن دواء لمرضى السكري.

لم تكن هذه المرة الأخيرة، فقد عادت الاتصال به مراتٍ أخرى، وفي كل مرة تخترع حجة جديدة؛ لكي تحادثه.

إحتار الطبيب من تصرفها، ورغب في مصارَحتها؛ أجابتهُ والبحة التي في صوتها تخبره كم عانت في حياتها:

أتذكر يا ولدي أول مرة اتصلت بها؟؟ أتذكر حين سمعت صوتي وأدركت أنني كبيرة بالسن ماذا قلت؟؟

أتذكر ماذا ناديتني؟

هل تذكرت؟؟

صمت الطبيب الشاب قليلاً، ثم نطقها مجدداً "يمه".

شهقت وقالت: حرمت من سماعها ثلاثون سنة، ما ذنبي إن كان قدري أن أكون عقيم؟؟

*****

نسـمات

جلست تتذكر ملامح وجهه و تعد النجوم...

نسمات هواء نقية تداعب خصلات شعرها.

تلك النسمات ذاتها تذكرها بحديثها معه قبل سنة

لقد كانت تجلس على إحدى عتبات المنزل وتنظر إلى هاتفها، منتظرة اتصاله بفارغ الصبر ؛ لكي تبدأ أُمسيتهما الجميلة تحت ضوء القمر....

ومازلتْ تذكر تلك القصائد التي كان يخبرها إياها .

ها هي الأيام تمضي، ولربما يوماً ما يجتمعا في منزلاً واحد، ويجلسا تحت ضوء القمر سوياً، ويتذكَرا أحاديثهما قبل سنين.

*****

دعوة طفلة

ارتدت حجابها وركعت على سجادتها الصغيرة وبكت تناجي ربها وهي بعمر الورد : ربي قد سقط شعري ولم يعد لي أصدقاء، أرى دموع أمي كل ليلة. أبي يبقى ساعات طويلة بالعمل؛ لكي يؤمن المال اللازم للعلاج من ذلك المرض الخبيث.

لقد أضاع طفولتي. وها أنا أنتظر أن أنام بسلام داخل ذلك المكان المظلم

لِيحتضنني ويخبئ جسدي البارد من وجع الأيام

ربي خذني إليك، فطيرٌ في الجنة أفضل من هذا العذاب.

*****

حديث الذات

كنت أخاطبه، وأحاول إقناعه بأن الحياة سوف تتحسن وستكون أفضل، وتتلون بألوان الفرح.

قاطعني، يسألُني مستنكراً: هل تكذبين على نفسك؟! أم تحاولين تسكين واقعكِ المؤلم ؟!
أغضبني كلامهُ ،فكان ردي لهُ بأنني لا أسكن واقعي وإنما أزرع تفائل بقلبي والأمل لِواقعي، الذي تقول عنهُ واقعاً مؤلماً.
حولَ مجريات الحديث لصالحهِ حين أعاد لي شريط ذكرياتي، فكم أتعبتني الحياة وكشفت لي حقائق البشر.

كـان ذاتـي محقـاً كيـف للحيـاة أن تصـبح أفضـل، أدركـتُ حينهـا أننـي حقـاً أسـكن واقعـي المـؤلم وعلـي أن أرفـع علـم الاستسـلام وأعتـرف بفـوزهِ وأنهــــــــي ذلــــــــك الحــــــــديث.

نظـرت لسـماء واليـأس يمـلأ قلبـي وإذ هـي ملبـدة بـالغيوم السـوداء فقلـت حقـاً الحيـاة لـن تصـبح أفضـــــــــــــــــــــــــــــــل...

أنهيـت جملتـي ومـا هـي دقـائق حتـى بـدأتْ السماء تمطـر، فارتسـمت البسـمة علـى وجهـي ،عـدت لــذاتي وملامــح وجهــي تعــج بعلامــات النصــر

محدثتـهُ: لـن ايـأس ابـداً مهمـا حاولـت إقنـاعي بـأن الحيـــــــــــــــاة ســـــــــــــــيئة... فبعد كل ضيقٍ فرج.

*****

رسالة لذلك البعيد

احترت كيف أقول لك هذه الكلمات فلم أجد حلاً سوى أن اكتُبها بين سطور الذكريات؛ لعل وعسى يوماً تَقرأها وتشعر بحجم الوجع الذي تركتهُ بداخلي

لا أعلم إن كنت بخير أم أصابتك لعنة الأيام لكن أتمنى أن تكون سعيداً وضحكتك لاتفارق وجهـــــــــــــــــــــــــــــــك

أتمنى أن تمتلئ حياتك بالسعادة بحجم ما مَلَأتَ حياتي بالأحزان .

أسأل نفسي دائماً، هل مازلت تذكرني؟ أم دفنت ذكرياتي بمقبرة الماضي ورحلت.

ياليتك تعلم كم يؤلمني فراقك... ياليتك تعلم كم أتمنى أن تسرقني المقابر فماتت رغبتي بالحياة

جسدي يمشي على هذه الأرض، لكن روحي دُفنت منذ غادرت حياتي

لماذا تركتني وحيدة حائرة بين أوجاعي واشتياقي؟!

تركتني امسح دموعي، التي كانت أشبه بدماء جريح.

تركتني بألم الحسرة والفراق .

أهـــــذا جـــــزاء حبـــــي المجنـــــون ؟
أم أن قلبـــــــــــــك تَحجـــــــــــــر ؟

لـم أعـد أريـد شـئ فقـط لـين قلبـك قلـيلاً علـى روحـــــــــــــي الحزينـــــــــــــة .
أعـد النـبض لقلبـي، فمنـذ رحلـت، رحلـت معـك كـل السـعادة رحلـت معـك أحلامـي ،آمـالي كلهـا ضـــــــاعت أصـــــــبحت ســـــــراب .
أوقـف معانـاتي، فجراحـي تنـاثرت وهـا هـي بازديـاد ،لم أعد أحتمل.
أخبرنـي أرجـوك، كـم مـن الوقـت تحتـاج لـتفهم بـــــــأنني أملـــــــك مشـــــــاعر ؟

كم من الوقت تحتاج لتعرف بأنني خسرت الكثير لأجلك ومازلت أحبك بجنون ؟ متى ستفهم وتشعر بأن ابتسامتي مزيفة فخلفها قلبٌ يصرخ آهات ؟ لقد تعبت فكم من الوقت باقٍ لترتاح روحي وتغادر هذا الزمان ؟

" رسالة عتاب"

هل يمكنني إخبارك بشيء ؟

قبل أن تدخل حياتي كنت حين أحزن اختبئ تحت اللحاف محاولة كتمان صوت بكائي ...

لم أمنح أحدهم فرصة كي يراني ضعيفه ،كنت دائما أمامهم الفتاة القوية التي تعيش حياة

جميلة وسعيدة، تبتسم دائما ولا شيء في هذه الدنيا يزعجها.

حتى دخلت حياتي، لا أدري كيف أصبحت أمامك أنثى ضعيفة منكسرة تلجئ إليك في أبسط المواقف وتبكي أمامك بلا وعي ...

هذه ليست أنا !!

أتصدق أصبحت أبكي أمام الغرباء أيضًا وأمام طفلٍ صغير ؟ أصبح من السهل رؤية دموعي.

الجميع بدأ يبتعد، بحجة أنني أصبحت مزاجية وذات خلق سيء، لا أستطيع تحمل كلمة من أحد.

لم يكن ذنبك ابدًا، يبدو أنني أحببتك كثيرًا، جعلتك الوطن والملجأ الذي أحتمي فيه من شرور العالم.

كنتَ تستمع لي وتترجم وترتب كلامي المبعثر، كنتُ أحادثك عن مشاكلي بطريقة عفوية، لكنك لم تمل يومًا من الإستماع إلي وإلى طريقتي الغربية بالتحدث.

اشكر حقًا لك تلك المواقف، لم أنسى ولن أنسى لك كيف وقفت إلى جانبي كل تلك الفترة كم تحملت مزاجيتي والأخطاء التي ارتكبتها .
كنت دوما الكتف الصامد الذي استند عليه حين اشعر أن الهموم اثقلت كاهلي.

لا أريد الكثير فقد عد كما كنت، وعدتني يومًا أن لا شيء سوف يجعلك تتغير .

فماذا حصل الآن ؟!

*****

أنين الزمان

وجــه شــاحب وعيــون مرهقــة وقلــب ميــت، روحٌ حزينـــة، تجاعيـــد تمـــلأ ملامـــح ذلـــك الوجـــه التعيس...

ويكأنهُ وجه امرأة في الثمانين من عمرها

أتعبت الحياةُ روحها، أتعبتها وزادت أوجاعها...

ويلـك أيهـا الزمـان فقـط حرمتهـا شـبابها، أخفيـت ضحكتها بين ظلام الاحزان.

تغيـرت لـم تعـد تلـك الـروح المرحـة، اختفـى ذلـك الوجــه الــذي مهمــا حصــل الإبتســامة لا تفارقــهُ؛ فقد منحتها حزناً وغصةً قاتلةً في صدرها.

جعلتهــا تنهــي ضــحكتها المزيفــة بشــهقةٍ طويلــة، تجعل روحها تتمزق.

*****

قلوبٌ ميتة

ليس كل ما نراه يصف الواقع ...

قلوبهم قاسية كالحجارة، عيونهم فارغة.

يحسدونها على شيء لا تملكه، يعتقدون أنها سعيدة في حياتها لكن الحقيقة أن بين ضلوعها سيفاً يمزقها.

لم تكن تتكلم عن أوجاعها فقط تصمت وتبكي ليلاً من قسوة الحياة عليها...

تمنت أن يرى أحد مافي قلبها دون أن تنطق حرف.

لكنها أدركت بالنهاية أن لديهم عيوناً لا ترى وقلباً ميتاً لا يرحم.

*****

أحــبك

عـامٌ قـد رحـل وأخـذ معـه كـل الـذكريات فـي قلبـي، باستثناء ذكرياتي معك فيالها من ذكريات ...
سـعادة وحـب وفـرح، ضـحكاتٌ وغـزل علـى ضـوء القمـر، ذكريـات سـتبقى بـداخلي حتـى اخـر نفـس لي .

والان سـنبدأ سـوياً عامـاً جديـداً مليئـاً بالحـب والسعادة

سـأحبك أكثـر وعشـقي لـك سـيزداد وروحـي سـوف تتعلق بك للأبد
سنعيش سوياً أجمل اللحظات

سنسهر ونضحك ونتحدث حتى بعد منتصف الليل وأخبرك حينها كم أحبك ولن أمَل من ذلك حتى تنتهي حياتي بعشقك.

فقلبي لا يرى غيرك وكأنك جزءٌ مني
كلا ليس جزء بل أنت قلبي ونبضه
فأنت سعادتي وأغلى ما أملك
وكل ما أتمنى .

دعني أعلن جنوني بحبك
دع روحي تهواك و تعشق تفاصيلك كما تشاء.

*****

كيف أوصفه ؟

امتزجت نكهة المرح ورجولة في روحه الجميلة.
أما عن قلبه فماذا أكتب ؟ فقد بعثرت طيبته كلاماتي .
ضحكته أذابت قلبي، و أوقعتني في شباك عشقه .
تركني حائرة بين قلبي المتيم به وأفكاري التي تعج بملامحه.
و تلك الرائحة فقط جعلتني أجن، فيالها من رائحة جذابة
هُيمَ قلبي بها.

حين لا اسمع صوته أصبح كأنني جسدٌ بلا روح

أرجو الخالق أن اتمكن من سماعه .

حينها تصلني رسالة من السماء

فـتعج ملامحـي بالفرحـة ويزهـر قلبـي ورودًا وتعـود الروح إلى جسدي.

فصـوته أجمـل مـن موسـيقى هادئـة عُزفـت علـى أوتار حنيني له

فكأن السعادة تعم أرجاء

قلبي المتيم به.

*****

رسالة إلى نفسي

أبعث برقية إلى ذاتي الشامخة المحاربة.

و أقدم لنفسي التعازي على ما فقدت في صراعها مع الحياة في حرب البقاء للأقوى .

حين أقف أمام المرآة أنظر إلى جسدي المهترئ وإلى الشيب الذي غزا بعنف خصلات شعري المجعدة بغير سابق إنذار، أتذكر حينها قسوة الأيام و قذارة البشر .

هنالك الكثير من الندب الخفية في أروقة جسدي وجروح مميتة لا يعلم عنها كائن
لكن إظهارها لن يخفف منها شيء ... فقط سيجلب لي نظرة الشفقة وأنا لست بحاجتها .

فأنني بحاجة للمزيد من القوة الداخلية لأحقق أهدافي حتى وإن لم يكن الطريق أمامي معبد ومريح ...

تجد في قصص النجاح الكثير من الأهداف الواضحة والقليل من الاحتجاجات الواهمة، أما في قصص الفشل فأول ما تجده اللوم على البشر وعلى الحياة و على تلك المصاعب التي

خلقت لتجعلنا أقوى لا لنستسلم لكن هم قلال الذين يعلمون السر.

أشكر نفسي وأقسم لها أنني سأبقى متشبثة بأحلامي كما يتشبث الجنين في عنق الرحم.
و ارمي الهموم خلفي وامضي في درب الأحلام لعلي أصل يوم إلى السلام ...
سلامي الداخلي.

*****